الفصل الثاني

المظاهر السياسية في المستعمرات البريطانية

تمهيد:

بدأ الاستعمار (Colonialisme) البريطاني مع الموجة التي اجتاحت أوروبا في القرن التاسع عشر، حين كان التسابق من دول شمالي أوروبا إلى رفع أعلامها على مناطق إفريقيا. وكان طموح رواد هذه الموجات الاستعمارية هو اكتساب أكبر مساحة ممكنة في القارة الإفريقية، التي شاءت الأقدار أن تكون فريسة لهذه النزعات الاستغلالية، وكان حلم **رودس** داعية الاستعمار (Colonialisme) البريطاني إقامة ممتلكات بريطانية تمتد من شمال إفريقيا بطول حوض النيل حتى رأس الرجاء الصالح.

يقول (ماما دو) : " **كانت جزيرة غوري معسكرا لتجميع العبيد قبل شحنهم إلى الشواطئ الأمريكية يحبسوننا في قباء مظلمة في بيوت العبيد ليلا ، وفي النهار يطلقوننا مغلولي الأعناق مكبلي الأرجل بكرات حديدية زنة كل منها(10)كيلوغرامات تربط في الأرجل ويجرجرها العبيد أينما تحرك. كانت مراكب الشحن في انتظار نقلنا، بعد فحصنا ودمغنا بأختام الحديد المحمى الذي يحمل شعارات التجار المالكين على الصدور والألداء والأذرع. وبعد اجتيازنا (باب النهاية) أو (باب اللاعودة) كان في انتظارنا المحيط وما وراءه من أمواج وعواصف بحر الظلمات** ".[1]

---

[1] العربي (مجلة متخصصة)، العدد 52، سبتمبر سنة 2002، الكويت.

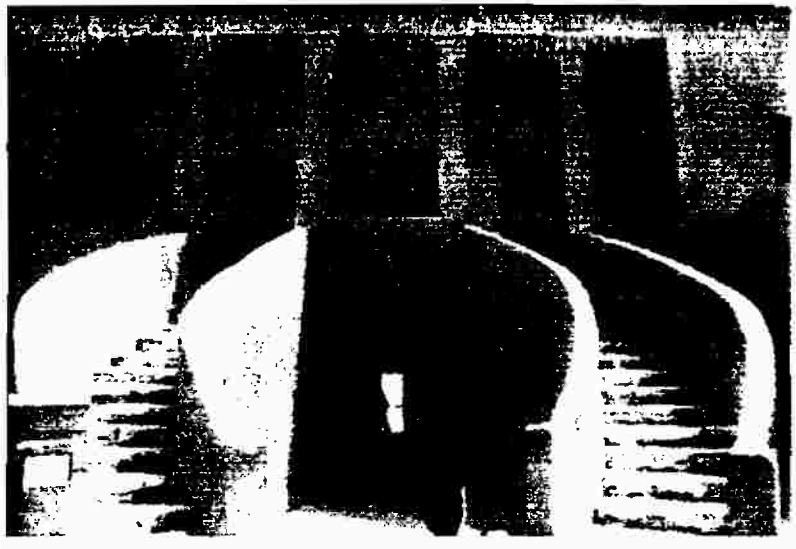

دار العبيد (www.election-politique.com)

يضيف (هاما دو) بحسرة مذبوحة مكتومة ".. امتلأت نفوسنا بالحسرة لإدراكنا أنها الخطوات الأخيرة على أرضنا. ثم تلقفتنا أفواه السفن وبطونها المعتمة، وظهر مشهد يهز المشاعر من العبيد وذويهم. فثمة زوجات وأقارب لم يتم بيعهم بقوا في جزيرة غوري. وثمة مبادلات بين التجار فصلت الابن عن أبيه والأخ عن أخيه والبنت عن أمها. كل في سفينة وكل سفينة لها وجهتها الخاصة المختلفة مما يعني في النهاية أنه الوداع إلى الأبد. فالابن على السفينة المتجهة إلى أمريكا الشمالية بينما الأب على سفينة تقصد البرازيل. وكانت لحظات رهيبة من دموع العيون الحارة، وشهقات وهنهات البكاء، بلاشك، سوف تتذكرها بحرقة صخور البازلت السوداء ورياح الأطلسي ".

وكان قبل ترحيل الأبرياء الأفارقة إلى مرافئ التجار يجري تصنيفهم فهناك عبيد كايور، وهم عبيد حرب يديرون أعمال التمرد. والبامبارا وهم بلهاء لطفاء وأقوياء الجسام. والو ويداه، وهم مزارعون صالحون ولكنهم يميلون إلى الانتحار. والكنغوليون وهم مرحون وعمال جيدون "

وقد عانت المناطق الواقعة في نطاق الاستعمار (Colonialisme) البريطاني لونا متشابها من الاستغلال البشع، ورزحت تحت سيطرة عدو مشترك واحد، وذلك بالإضافة إلى تقاربها الجغرافي في قطاعاتها الثلاثة الشرقية والوسطى والغربية، بحيث أصبحت مشكلات كل قطاع منها مشكلات موحدة.

وقد اتبعت السياسة الاستعمارية البريطانية أسلوبا فريدا في حكمها لمستعمراتها في إفريقيا. فأوجدت ما أسمته نظام مستعمرات التاج، حيث يكون

على رأس كل مستعمرة حاكم يتم تعيينه في إدارة الإقليم بمجلس تشريعي يختاره لنفسه بين الموظفين البريطانيين وبعض غير الرسميين، وقد يتم شبه انتخاب لغير الرسميين هؤلاء، ولكن أيا كانت درجة الانتخاب (électoral) فإن للحاكم في نهاية المطاف السلطة المطلقة وصوته يرجح على كافة الأصوات.

إلى جانب نظام مستعمرات التاج، ابتدع الاستعمار (Colonialisme) البريطاني لونا آخر من نظم الحكم، هو نظام الحكم (Systémes du Pouvoir) غير المباشر. وقد طبق هذا النظام غير المباشر في المناطق التي يصعب فيها التغلب على الشعور القومي ويتعذر أتباع أسلوب الحكم المباشر، ومقتضى هذا النوع غير المباشر أن توكل مسائل الإدارة المحلية للوطنيين من زعماء القبائل أو الأمراء، مع إخضاعهم لإشراف المسئولين البريطانيين. أما نظام الحكم (Systémes du Pouvoir) غير المباشر فيهدف إلى استغلال النظم القومية المحلية، والى الاختفاء وراء الأمراء وزعماء القبائل، وإخفاء أساليب الاستبداد (Despotique) الأجنبي وراء مظاهر الحكم المحلي. وتدعي السلطات الاستعمارية أن هذا النوع من الحكم هو بمثابة مدرسة للتربية السياسية.

المبحث الأول

التيارات السياسية في كينيا

بداية، كانت السياسة الاستعمارية البريطانية في **كينيا** بطابع الإنكار لكل حقوق الإفريقيين وأصحاب البلاد الأصيلة، والسعي لتحويل البلاد إلى أرض مستباحة للرجل الأبيض. وتجاهلت السياسة الاستعمارية -آنذاك- ما قطعته على نفسها من وعود ومواثيق متعددة، إن تجاه الرأي العام (L'opinion publique) الدولي أو تجاه الأفارقة أنفسهم، وتأمينا لهذه السياسة الاستعمارية عملت الحكومة الاستبدادية في كينيا على إجهاض أي حركة افريقية واعية، أو أي صوت ينشد الحرية السياسية. .

وتنفيذا لهذه السياسة الاستعمارية، أعلن رئيس حزب جديد في **كينيا**، وهو أوروبي، كان وزيرا للزراعة في حكومة كينيا الاستعمارية : " **أنه ينبغي الاعتراف** (La reconnaissance) **بالأفضال التي أداها الأوروبيون في كينيا، كما يجب الاعتراف** (La reconnaissance) **أيضا بفضل المسلمين والهنود والعرب في تلك البلاد، وأنه يتعين حفظ ذلك التراث والإبقاء عليه متميزا بعضه عن بعض إذا ما أريد لكينيا التقدم والنمو** ".[1]

وقد صرح وزير المستعمرات أنه خضوعا لرغبة وفد من الإفريقيين والآسيويين من **كينيا** في **لندن** قد قرر قاعدة جديدة لعقد مؤتمر للمائدة المستديرة لرسم خطوات للتطور الدستوري في **كينيا**، ولكن الوفد المذكور كان

---

[1] حزب للسير **مشيل بلندال**، في تصريح له في 2 أبريل سنة 1959.

مطلبهم الأول هو تحقيق ديمقراطية برلمانية مبنية على الانتخاب électoral) العام المباشر، وهو ما يؤدي إلى حكم مطلق ذاتي للإفريقيين. ويطالبون برفع لوائح الطوارئ للتمكين لهم من الحياة السياسية الحرة.[1]

ولعل أصدق صورة للاستبداد الأوروبي في كينيا هي ما ذكره أحد أعضاء قوات البوليس الاحتياطي — آنذاك — في معرض حديثه عن أعمال تلك القوات فقال: " **أما غارات الليل التي تشنها قوات البوليس الاحتياطي على أكواخ الإفريقيين، فقد كانت تصيبهم بذعر وهلع شديدين، فيعمدوا إلى الهرب، وينطلق الرصاص عليهم من ظهورهم فيقعون صرعى. وإن قوام رجال الاحتياطي من الأوروبيين الموتورين المعقدة نفوسهم التعسة حياتهم الخاصة. إنهم يلعبون دور رعاة البقر مع الهنود الحمر**".[2]

وحين ضاقت الحلقة إلى هذا المدى، لم يكن أمام الإفريقي سوى الانطلاق في الجماعات والمنظمات السياسية. ولم يجد الإفريقي بدّا من ذلك وقد سدت أمامه جميع السبل. حتى سبيل المقاومة السلبية لم يكن متاحا له. فكانت بطولات **الماوماو**، تلك المعارك النبيلة، التي حاول المستعمر إضفاء مظاهر الوحشية الهمجية على حقيقتها القومية.

وتكونت جماعة **الكيكويو** لمناهضة الاستعمار (Colonialisme)، وتزعمها **جومو كينياتا**، ثم تحولت قبل **الحرب العالمية الثانية** إلى **الاتحاد**

---

[1] إفريقيا وراء الصحراء، مرجع سبق ذكره، نقلا عن مجلة الأكونوميست الصادرة في 2 مايو 1959، تصريحات وتحاليل لوزير المستعمرات المستر **لينوكس بويد**.

[2] إفريقيا وراء الصحراء، مرجع سبق ذكره، ص 77.

الإفريقي لكينيا. وتعهد الاتحاد الذي كان يقوده آنذاك **كينياتا** على المضي في المعركة حتى نهايتها. وأصبح هذا الزعيم الإفريقي مصدر رعب للاستعمار البريطاني. وأطلقوا عليه تسمية **السهم المحرق**.

وفي سنة (1940م)، عقد المستوطنون اجتماعا عاما في نادي **جيما خانا** في **نيروبي**، ونادى الأوروبيون بتكوين جبهة متحدة لمقاومة القومية الإفريقية الصاعدة. **التكتل الأوروبي في كينيا**.

ولما حاصرت دوامة هذه الأحداث بريطانيا – خاصة بعد معرفة الإفريقيين أن المستوطنين ومن ورائهم بريطانيا يشكلون عقبات ضد أمانيهم ومصالحهم ورخاء مستقبلهم- أقدمت على التراجع طبقا لخطة جديدة، وقبلت في (22) من أبريل سنة (1959م) عقد المشاورات الدستورية، وحددت البدء فيها الثامن عشر من يناير سنة (1060م).

وتغير فجأة المفهوم الدستوري من **العنصرية المتعددة** إلى **الاعتدالية** و **اللاعنصرية**، **والتعاون**، وترك زعيم المستوطنين **ميشيل بلندال** – الذي تآمر سنة (1952م) في إعلان حالة الطوارئ (état d' urgence) – ترك منصبه في وزارة الزراعة الكينية، ليؤسس حزبا جديدا أسماه **جماعة كينيا الجديدة المعتدلة**.

وفي أواخر يوليو سنة (1952م)، أعلن في **كينيا** أنه قد أبيح إنشاء أحزاب سياسية عامة للإفريقيين، ولكن بشرط ألا تؤسّس تلك الأحزاب على قاعدة **العنصرية**، أي أن تضم بينها عناصر من المستوطنين في مراكز مكاتبها التنفيذية، بينما لم يكن ثمة تنظيم يخول اشتراك الإفريقيين في المنظمات السياسية الخاصة بالمستوطنين أو الهنود.

وقد ظهرت تشكيلات حزبية جديدة في **كينيا**، وكانت ثلاثة أنواع وهي:

النوع الأول: أحزاب افريقية خالصة، ولم يشكل من هذا النوع سوى حزب **الحركة الاستقلالية لكينيا** برئاسة **أوجنجا اودينجا**، وعضوية عدد من المجاهدين المستقلين أمثال **توم امبويا**، ولكن حكومة **كينيا** رفضت تسجيل ذلك الحزب رسميا،

النوع الثاني: أحزاب متعددة العناصر، وتشكل من هذا النوع حزبان: **الحزب القومي الكيني وحزب كينيا الجديد**، ويحوز هذا الحزبان تأييد الحكومة ووزارة المستعمرات،

النوع الثالث: أحزاب متطرفة، ومنها **الحزب المتحد** وهو حزب المتزمتين المستوطنين ويعارض معارضة مطلقة أي حركة افريقية ويدعو إلى فكرة **العنصرية**.

خريطة إفريقيا السياسية (www.election-politique.com)

المبحث الثاني

الحركات السياسية والأحزاب في نيجيريا

بدأت الحركات السياسية الحديثة في نيجيريا بعد الحرب العالمية الثانية، حين قدم اتحاد طلبة إفريقيا في لندن مذكرة إلى وزارة المستعمرات البريطانية، يطلبون فيها بالاستقلال (Indépendance) الذاتي في سنة (1943م). وقامت مظاهرات في المدن الكبرى،في جميع إنحاء نيجيريا، وفوجئ المستعمر بالطاقة القوية التي أخذت تنطلق من عقالها.

وقد سارع المستعمر بوضع دستور ريتشارد سنة (1945م)، الذي أصدرته وزارة المستعمرات البريطانية في سنة (1946م)، وكان الدستور المذكور يهدف إلى أمور ثلاثة أولها إعاقة تحقيق الاستقلال (Indépendance) تحت ستار ما أسماه النهوض نحو الحكم الذاتي، وثانيها الإبقاء على التخلف الثقافي والفكري، تحت ستار حماية الثقافات والتقاليد الوطنية. أما ثالثها فكان أخطرها، إذ يرمي إلى زرع بذور الفرقة والشقاق، تحت ستار ما سمي بالتنمية السياسية نحو الوحدة المتجانسة.

وبمقتضى هذا الدستور، تم إنشاء مجالس إقليمية في كل من الأقاليم الثلاثة، الشرقية والغربية والشمالية، ترتبط جميعها في مجلس تشريعي مركزي، في فكرة شبه فدرالية. ولكن كان للحاكم العام سلطات واسعة تكفل إخماد أي معارضة في تلك المجالس أو المجلس المركزي.

وقد ثار شعب **نيجيريا** على دستور **رتشارد** (1946م)، وتزعم الحركة السياسية المعارضة الدكتور/**نامدي أزيكيوي**،وهو أحد المثقفين الجنوبيين[1]، وأسس أول حزب سياسي في **نيجيريا** باسم المجلس الوطني **لنيجريا** والكمرون (Nigeria and the Cameron).

وفي سنة (1047م)، سافر زيك إلى **لندن** بتفويض قومي للمطالبة بأن يستبدل بدستور **ريتشارد** دستور آخر أكثر تحررا. وعرّج **زيك** إلى **الولايات المتحدة** (USA)، واستقبل بحرارة بالغة خاصة بين الزنوج، ووصفته الصحافة الأمريكية وقتها بأنه **غاندي** الزنوج. واستقبل شعب **نيجريا** (**زيك**) عند عودته استقبال الأبطال، وحمل المتظاهرون لافتات الترحيب، والحرية أو الموت، وإدانة الاستعمار (Colonialisme).

---

[1] تلقى علومه في الولايات المتحدة، واشتغل بالصحافة في غانا لفترة من الزمن ثم عاد إلى بلاده. وأصدر في نيجيريا صحيفة Watt africain pilot (رائد غرب إفريقيا)

خريطة إفريقيا (www.election-politique.com)

وظل **زيك** مكتسحا ميدان السياسة القومية حتى سنة (1951م)، حين ظهر منافس له وهو الدكتور/**أولوا**[1] الذي أسس اتحاد العمال في **نيجيريا**، وألف كتابا في مذهبه السياسي تحت عنوان **طريق نيجريا نحو الحرية** وأنشأ حزبا سياسيا باسم **جماعة العمل** (action group) واعتمد **أولوا** في حزبه على أبناء قبيلته في الغرب، وهي قبيلة **اليوربا**، في المقابل اعتمد زيك على أبناء قبيلته في الشرق، وهي قبيلة **الإبو**.

أما الشمال، فقد احتفظ بوحدته السياسية، والحزب السائد في الشمال هو **حزب مؤتمر شعب الشمال** (northern peoples congress)، وفاز هذا الأخير بنصف مقاعد المجلس التشريعي الاتحادي في الدستور الجديد.

وفي سنة (1949م) بدأت المفاوضات (Les négociations) بين السلطات البريطانية وزعماء الأحزاب في الغرب والشمال، ثم في **لاغوس**، ووضعت الأسس الأولى لدستور (1957م)، الذي صدر سنة (1953م). وأصبح نظام الحكم (Systémes du Pouvoir) بمقتضى ذلك الدستور حكما فدراليا يشمل ثلاثة أقاليم: الإقليم الشمالي، والشرقي، والغربي، ولكل إقليم حكومة محلية تتولى شئونه الادارية والقضائية والتنفيذية، وتتكون الحكومة المحلية من مجلس تشريعي محلي ومجلس تنفيذي.

وهكذا، يكون للاتحاد بمقتضى هذا الدستور مجلسا تشريعيا مركزيـــا، وحكومة مركزية. ويجري انتخاب المجالس المحلية والمجلس المركزي على أساس

---

[1] محام وخريج جامعة لندن، دعا إلى سياسة أكثر اعتدالا من سياسة **زيك** العنيفة.

الانتخاب (électoral) العام المباشر. وتشكل الحكومة المركزية، من ممثلين للأقاليم الثلاثة يرأسهم زعيم الأغلبية في المجلس التشريعي المركزي.